



الكفاية اللغوية وإجراءاتها العملية من منظور
اللسانيات التوليدية التحويلية

Linguistic competence and its practical procedures from
A Generative-Transformational Linguistic Perspective

عون الله خديجة

المركز الجامعي الشريف بوشوشة آفلو (الأغواط)، k.aounallah@cu-aflou.edu.dz

ملخص

تعد المدرسة اللسانية التوليدية التحويلية نظرية لغوية نحوية وبداية تحول في مسار الدراسات اللغوية لما تميزت به من بساطة في التحليل والحدثة في الأفكار، ولا شك أن أي نظرية علمية تقوم على مبادئ وأسس، وقد أثار مؤسسها فلسفة جديدة في تفسيره للظاهرة اللغوية، وأثرها على غيرها من الفلسفات المعاصرة، وبلغت شهرة النظرية التشومسكية مبلغا كبيرا وشهرة واسعة بين الباحثين واللغويين المحدثين، واستطاع مؤسسها أن يطورها فأصبحت النقطة التي اهتمت بمبادئ الدراسات اللسانية اليوم، فتسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة الركائز والمبادئ الأساسية التي قامت عليها هذه النظرية من خلال رصد مسارها اللساني، والتركيز على وجهة نظر تشومسكي في مسألة اكتساب اللغة التي لا تتأني إلا وفق مبدئين اثنين هما الكفاية اللغوية والأداء

كلمات مفتاحية: الكفاية اللغوية؛ الإجراءات العملية؛ اللسانيات؛ التوليدية التحويلية

Summary:

The generative-transformational linguistic school is a grammatical and linguistic theory that set the tone for significant transformations in the course of linguistic studies by its simplicity in analysis and modernity in ideas. There is no that any scientific theory is relies on solid grounds and principles and foundations. Thanks to the solidity of its philosophical foundations, its founder raised a new philosophy in his interpretation of the linguistic phenomenon, and its impact on other contemporary philosophies. This research aims to study the basic pillars and principles on which this theory is formulated, by determinig its linguistic path, focusing on Chomsky's view on the issue of language acquisition, which

المؤلف المرسل: عون الله خديجة، الإيميل: k.aounallah@cu-aflou.edu.dz

can only be performed according to two principles, namely proficiency and performance.

Keywords: Transformational generative; practical procedures; linguistics; transformative.

مقدمة

يمتدّ نظر الإنسان إلى لغته إلى بدايات رغبته في استكناه ما حوله من ظواهر، وإذا أرخنا للعلوم بهذه الرغبة فلا بد أن علم اللغة أو اللسانيات، سيكون من أول العلوم البشرية، والواضح أن أمورا عدة في اللغة قد استرعت ثم شددت انتباه الإنسان إليها، إذ لعل ما يميز اللغة كظاهرة إنسانية هو سعة صلتها بحياة الإنسان من جوانبها المختلفة، وهكذا نجدها أمام تراث فكري لغوي ثري يمتد فيشمل زوايا عديدة للنظر في هذه الظاهرة، فمن نظر إلى علاقة اللغة بالتفكير وكيف نعبر عن أفكارنا باللغة، ومن نظر إلى علاقة اللغة بالإنسان من حيث تطوره العقلي الحضاري وهكذا، ولعل انتقال البحث إلى اللغة موضوعا بحثيا مستقلا يؤشر مرحلة النضج في البحث اللساني¹.

فالتاريخ اللساني يبين مدى الاهتمام الكبير بدراسة اللغة بطريقة علمية دقيقة، إذ نجد هذا في حرص دي سوسير (de Saussure) في محاضراته التي غيرت من طبيعة التفكير اللغوي، وصولا للمرحلة التوليدية التحويلية والتي تعادل في نظرهم من الأهمية مرحلة نشوء الألسنية عند دي سوسير (de Saussure)، هي حاليا المدرسة الألسنية الأوسع انتشارا والأكثر ديناميكية، وبالتالي ليس على الباحث اللساني إهمال هذه النظرية، أو إهمال تأثيرها بصورة عامة في الألسنية، وفي مجالات إنسانية أخرى كالفلسفة، السيكلوجيا والأنثروبولوجيا...، فما من ألسني بإمكانه في الواقع القول أنه لم يتأثر بهذه النظرية، حتى الذين يناهضون آراء هذه النظرية يأخذون بعين الاعتبار مفاهيمها ومسلماتها وبالتالي يفردون لها القسم الكبير من اهتماماتهم، والجدير بالذكر هنا أن غالبية المدارس الألسنية الحالية تحدّد مبادئها بالنسبة إلى موقفها من هذه النظرية بالذات، وأن التاريخ الألسني يتكلم عن الألسنية ما قبل النظرية التوليدية التحويلية وما بعدها، أي أن هذه النظرية قد فجرت ثورة لغوية طبعت الدراسات الألسنية بطابعها الخاص².

وإذا ما تمّ ربط الثورة اللسانية في النصف الأول من القرن العشرين بدي سوسير (de Saussure) وبيرس فهي تربط في النصف الثاني من القرن نفسه بتشومسكي (Noam Chomsky)، والثورية في منجزاته تتجلى في أن تشومسكي قوّض الدعائم التي قام عليها علم

اللغة الحديث وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظريته إلى طبيعة اللغة³، وهذا التغير لم يقتصر على النواحي التفصيلية، الجزئية، أو الفنية، بل وسع قضايا جوهرية في منهج البحث، وقبل ذلك في أسس الدرس اللساني ومنطلقاتها النظرية حينما اجتهد فحول الظواهر اللغوية من النشاط العلمي التصنيفي إلى النشاط العلمي التنظيري⁴.

يقودنا هذا إلى ترجمة مخرجات النظرية التوليدية التحليلية إلى آليات ديناميكية تسهم في تعليمية اللغة العربية من خلال تعقب أهم مرتكزاتها وبخاصة المكونات التالية الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

1. النظرية التوليدية التحليلية:

1.2 مفهومها ونشأتها

بعد أن سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على الدرس اللساني في الغرب، أخذت الأفكار عند بعض اللسانيين تضيق ذرعا بالطابع الوصفي الذي هيمن على الدرس اللساني، فنظرية تشومسكي في حقيقتها نظرية نقدية، لأنها قامت على إصلاح بعض الهفوات التي وقعت فيها المدرسة الوصفية، ففي 1957 بدأت ثورة في الدرس اللغوي حين أصدر تشومسكي كتابه الأول (syntactic structure)، (البنى النحوية) ومن ذلك الحين تغير اتجاه اللغة من الوصفية إلى منهج جديد، هو ما يعرف الآن ب (النحو التوليدي)، والحق أن تشومسكي يمثل ثورة حقيقية، لأنه قوّض الدعائم التي تقوم عليها اللسانيات الحديثة⁵، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظريته إلى طبيعة اللغة.

وجاءت أفكاره في هذا الكتاب ثورة على المدرسة السلوكية التي يمثلها بلومفيلد وسكينر، وهي مدرسة سادت أوساط اللسانيين ردحا من الزمن في أوروبا وأمريكا، واهتمت بالجملة وعدّها أهم وحدة لغوية، واهتم بالمعنى والدلالة وأعطاهما دورا بارزا في استنباط القواعد اللغوية وفرق تشومسكي (Noam Chomsky) بين النحو والقواعد باعتبار القواعد اصطلاح يشمل النحو والصرف والنظام الصوتي، وركز أيضا على ما يسمى بقدرة المتكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل وآلية فهمها⁶، وهذا ما جعل (جان بياجيه) يطلق على نظرية تشومسكي اسم (البنيوية التحليلية)، مؤكدا أن اهتمام تشومسكي بالجملة وحدها أو بالطابع الإبداعي للغة لا ينفي عن نظريته الصبغة البنيوية العامة⁷، لكن سواء سلمنا أو أنكرنا هذا الإطار البنيوي للنظرية التوليدية التحليلية فالذي لا شك فيه أن هذه النظرية تمثل مرحلة مستقلة في تاريخ اللسانيات.

ومما سجله تشومسكي (Noam Chomsky) من نقد بناء على البنيوية اكتفاؤها بالجوانب السطحية للغة حيث يقول في هذا الصدد: «تتأخر (اللسانيات البنيوية) في تحليل ما سميناه البنية السطحية، وفي الخصائص الواضحة في الإشارات وفي التركيبات والوحدات التي يمكن أن تكون جلية في الإشارة من خلال تقنيات التقطيع والتصنيف وهذا الانحصار هو كامل الوعي⁸»، لكن لا يكتفي به في ظل التفسيرات العميقة، و«يبدو أن نقطة الضعف الأساسية في مقارنة البنيويين والسلوكيين هي انعدام التفسيرات العميقة والاعتقاد بأن الذهن ينبغي أن يكون أبسط في بُناه من كل عضو فيزيائي معروف وأن أولى التقديرات تسمح بتفسير الظواهر التي يمكن أن تلاحظ⁹»، فالبنوية من منظور اللغويات التوليدية التحويلية اكتفت بوصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة شكلية متجاهلة ذلك الدور الذي يلعبه المعنى على مستوى اللغات، ولم تبذل أي جهد لتحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة، ومن ثمة لم تعط أي اهتمام للكفاءة اللغوية وعلى العكس من ذلك فنظرية تشومسكي (Noam Chomsky) لم تتوقف عند وصف اللغة بل تعدته إلى تحليلها، وتفسيرها واستنباط القواعد العامة التي تحكمها¹⁰.

كما تمتاز هذه النظرية بالاتجاه نحو محاولة تفسير المقدرة اللغوية الكامنة لدى كل فرد والتي تمكنه من التعامل مع التراكيب النحوية بطريقة إبداعية، وهي المقدرة التي تجعل كل إنسان قادراً على تمثيل أي نظام نحوي مهما بلغت درجة تعقيده، مما يضفي طابع الشمولية على هذه النظرية، ويجعلها قادرة على تفسير النظام النحوي، هذا النظام الذي يعني «استعمال العلاقات التحويلية المشكلة على صورة قواعد (Rules)، ووصف الفروق بين جمل لها أنماط مختلفة موضحة بأمثلة من الإنجليزية ولكنها قابلة في الأساس للتطبيق على كل اللغات¹¹»، فسلسلة التوليدات والتحولات في اللغة يمكن من فهم القواعد الكلية التي تنظم اللغات جميعها.

2.2 مراحل تطورها:

المتتبع للمسار التاريخي لهذه النظرية يجدها قد مرت بمراحل عدّة عرفت خلالها العملية اللسانية تحولات جزئية بدءاً من الإبداعية وختاماً بالمكون الدلالي:

1.2.2 مرحلة المباني التركيبية :

ظهور أول كتاب لتشومسكي بعنوان المباني التركيبية (structure Syntaxique) وقد تضمن هذا المصنف أهدافا كما احتوى قواعدا —وتسمى أنحاء أو نماذج — تفسر العلامة اللسانية أما الأهداف فإن تشومسكي يركز إجمالا على¹² :

الإبداعية بوصفها النهاية المفتوحة في اللغات الإنسانية بمعنى أن اللغة تقدم وسائل محدودة لتعبر عن إمكانات غير محدودة، حيث تقوم لغة الإنسان على تنظيم منفرد غير منغلق من العناصر تظهر بوضوح في السمة الإبداعية من خلال قدرة المتكلم على إنتاج عدد وفهمه، لا نهائي من الجمل لم يسبق له سماعها قبلا، وتختص هذه المقدرة بالإنسان لذلك لا نجدها عند أي كائن حي آخر¹³ ، والحدس أو المقدرة على الحكم اللغوي عند المتكلم للتمييز بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى، أو الجمل ذات اللبس اللغوي¹⁴ .

القواعد التوليدية والقواعد التحويلية، باعتبار الأولى نظام من القوانين تتعهد وصف تركيب جمل لغة بطريقة غاية الوضوح، وهذا الوضوح هو الميزة الرئيسية لمثل هذه القواعد، وأن هذه القواعد التوليدية ليست أنموذجا للمتكلم أو السامع، وإنما هي تحاول أن تصف بأكثر الطرق حيادية المعرفة اللغوية التي تكون الأساس للاستخدام العقلي للغة من قبل المتكلم والسامع، وأطلق عليها اسم قواعد إعادة الكتابة؛ أي أنها تكتب رمزا معيناً مرة ثانية بشكل آخر أو توليد من الرمز الواحد عدة رموز¹⁵ ، أما الثانية عملية تغيير تركيب لغوي إلى آخر بتطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر ...، فإن وصف العلاقة بين التركيب الباطني أو البنية العميقة، والتركيب الظاهري أو البنية السطحية، والعلاقة بين التركيبين تشبه عملية كيميائية يتم التعبير عنها بمعادلة أحد طرفيها المواد قبل تفاعلها، والطرف الآخر هو الناتج بعد التفاعل، فإن التركيب الباطني يعطي المعنى الأساسي للجمل، وهذا التركيب تركيب مجرد افتراضي يتوقف عليه معنى الجملة وتركيبها بعد أن تصبح تركيباً ظاهرياً، وبذلك يكون الظاهري حقيقة فيزيائية ملموسة إذا تكلمنا أو كتبنا، وتمكننا هذه القواعد من تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى وذلك عن طريق جملة من التحويلات كالحذف والنقل والإضمار¹⁶ .

2.2.2 مرحلة النظرية النمذجية :

طور تشومسكي (Noam Chomsky) في نموذج النحو التحويلي في كتابه مظاهر النظرية النحوية (Aspect de la Theorie Syntacxique)، وذلك بإضافته للعنصر الدلالي

ورؤيته الجديدة للمعنى الذي رأى منذ ذلك الوقت أنه يجب أن يخضع للتحليل اللغوي، ومن ثمة أصبح النحو عند تشومسكي نظاماً من القواعد يربط كل جملة يولدها بالأصوات وأهم مبادئ هذه النظرية¹⁷:

الكفاية اللغوية¹⁸ (linguistic proficiency)، والأداء الكلامي (La performance) في إطار النظرية الألسنية التوليدية التحويلية، نسمي المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية، ونميز بين الكفاية اللغوية وبين ما نسميه بالأداء الكلامي، من خلال أن الكفاية هي المعرفة الضمنية باللغة في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين¹⁹، كما عرف تشومسكي (Noam Chomsky) الكفاية فقال: « مجموعة قواعد (عقلية) يستطيع المرء بها أن ينتج عدداً غير محدود من الجمل»، أما الأداء اللغوي لغةً: مصدر من الفعل "أدى" بمعنى القيام بعمل ما، وأدى عمله: قام به وأتمه وأنجزه وقضاه، وجاء لفظ "الأداء" في القرآن الكريم مقيداً بمعيار الجودة والإحسان، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (سورة النساء: 58)، أي: فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولا بها²⁰، هذا بخلاف لفظ "الفعل" الذي يأتي عامّاً بدون أي قيد، قال تعالى: وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (سورة التوبة: 105)

والأداء اللغوي اصطلاحاً هو: « استعمال اللغة في مواقف مختلفة²¹»، بمعنى التحقيق العيني لهذا التمكن اللغوي: أي الكلام المنطوق أو المكتوب الذي قد يختلف أو يتفق وقواعد اللغة بشكل أو بآخر، تبعاً لظروف الكلام أو المتكلم²².

فالكفاية اللغوية هي فطرة كامنة في المتكلم مع مقدرة على إنتاج جمل لا نهاية لها، أما الأداء فهو توظيف المتكلم لهذه الفطرة والقدرة بشكل مكتوب أو منطوق.

البنية السطحية والبنية العميقة وهي من المفاهيم التي استحدثها تشومسكي في نظريته فالبنية السطحية عبارة عن نظام مكون من مقولات ومكونات تركيبية، تكون برمتها مرتبطة مباشرة بالإشارة الفيزيقية إلى البنية العميقة التي تكون بدورها عبارة عن نظام من المقولات والمكونات التركيبية²³، ولما كانت البنية العميقة تعبر عن (المعنى) في كل اللغات فإنها تعكس (أشكال الفكر الإنساني) وعليها أن نعرف كيف (تتحول) هذه البنية إلى كلام على (السطح)، وهذا هو الأصل في (النحو التحويلي) الذي يهتم بالقوانين، التي تحدد البنية التحتية، وتربطها ببنية السطح²⁴.

المكوّن الدلاليّ أحس تشومسكي بالحاجة إلى إدراج التحليل الدلالي في صلب النظرية اللسانية، «إن الأشياء التي ولدتها هي جمل بالمعنى القديم ولكن بها معان تلتصق بها الآن وبدقة، فقد أصبحت الجمل مؤلفة من ازدواجية من التمثيل الصوتي والتمثيل الدلالي»²⁵، والكيفية التي يطبّق بها المكوّن الدلالي تفرض استحضار مجال المعجم باعتباره مجموعة من العلامات اللسانية (كلمات) تتميز بسمات صوتية تركيبية دلالية، ويعطي للمعجم لكل كلمة منها معنى أولياً، ومجال قواعد الإسقاط التي تقتزن بين العلامات اللسانية (الكلمات) والبنى التركيبية المولّدة، فيتوصل بهذه الطريقة إلى مدلول الجملة²⁶، فالمكون الدلالي يقوم بتخصيص كل تركيب بمعنى شامل، انطلاقاً من الدلالات الفردية للمورفيمات التي تؤلفه، وتبعاً للطريقة التي تأتلف بها هذه المورفيمات، فيخص بالتالي كلاً من التراكيب التي يولّدها المكون التركيبي، بتمثيل دلالي²⁷

3.2.2 مرحلة النظرية النموذجية الموسعة :

في عام 1972 صدر كتاب تشومسكي دراسة الدلالة في القواعد التوليدية (stadie on semantics in generative grammar) أضف فيه إضافات جديدة منها: أن المكون الدلاليّ أصبح له دور في تفسير التركيب الظاهر للجملة بعد أن كان هذا الدور مقتصرًا على المكون الفونولوجي، ومنها أن المكون الدلالي صار بإمكانه الإسهام في تفسير العديد من العلاقات النحوية الظاهرة بعد أن كان يقتصر عمله على تفسير التركيب المستتر دلاليًا²⁸، وتميزت هذه المرحلة بظهور نظريتين دلاليتين وهما: النظرية الدلالية التفسيرية والنظرية الدلالية التوليدية

فالنظرية الدلالية التفسيرية ترى أن الوظيفة الأساسية للمكون الدلالي هي إسناد التفسير الدلالي الملائم للمتواليات التي يولدها التركيب بواسطة المعلومات المركبة على أن يتم هذا التفسير على مستوى البنية العميقة دون البنية السطحية، فجملة " ضرب زيد مشتقة من البنية العميقة المبنية للمعلوم ضرب "أ" زيدا حيث -أ- مجهول، فهاتان الجملتان المرتبطتان بقاعدة تحويلية ترجعان إلى بنية دلالية واحدة، مع أن الأولى مبنية للمجهول والثانية مبنية للمعلوم؛ أي مع اختلافهما سطحاً، وهذا الاختلاف هو الجاعل في إسناد التفسير الدلالي إلى البنية العميقة، أما التجديد الأساسي للنظرية الدلالية التوليدية يكمن في مدى مساهمة العنصر النحوي والعنصر الدلالي في توليد الجمل، وقد تقرر أن البناء العميق الذي يولده العنصر النحوي يضم كافة المعلومات التركيبية اللازمة

للتفسير الدلالي، على حين يأخذ العنصر الدلالي على عاتقه مهام التفسير التام وذلك بالتعامل مع مخرجات العنصر النحوي²⁹.

ففي الإطار العام ما تمّ ملاحظته على النظريتين الداليتين أن الأولى؛ لا تعطي للدلالة إلا دورا تفسيريا أما النظرية الثانية؛ مسؤولة عن توليد الجمل واتخاذها الشكل الذي تتخذه في التركيب³⁰.

2. الكفاية اللغوية وإجراءاتها العملية :

يرى تشومسكي أن هدف الدرس اللساني يتمثل في بناء نظرية للغة الإنسانية، وهذا بالنسبة له هو ما يجعل من هذا الدرس علما، فعنده لا يشكل الدرس علما إذ اقتصر على وضع إجراءات تحليلية توصف وفقا لها معطيات ظاهرة معينة، فالعلم -أي علم- لا بد له من يسعى إلى وضع نظرية تفسر الظاهرة التي يتصدى لدرسها³¹، مثل ذلك اهتمام الدراسات اللسانية بقصد الكفاية والملكة راجع لارتباطها لنظريتين أساسيتين في الفهم الغربي والنظريات اللسانية الحديثة، نظرية النحو التحويلي، نظرية النحو الكلي، والنحو التحويلي هو وصف للأداء اللغوي، لأن الوصف الدقيق للغة من اللغات يعني تحديد الإمكانيات التبادلية الكامنة لهذه اللغة والذي يستغنى عنها ويتوسل بها مستخدم اللغة، فوصف الاستخدام اللغوي عند الفرد ليس كافياً لفكرة النحو التحويلي بل محاولة تحديد مجموعة الإمكانيات التعزيزية في اللغة وهذه الإمكانيات كامنة عند مستخدم اللغة حتى أنه بالمخزن لديه يفهم الجملة.

1.3 الفطرة اللغوية:

ظلت فكرة الفطرة اللغوية الكامنة في ذهن المتكلم مهيمنة على تفكير تشومسكي، ويبدو أن «النقطة الرئيسية في نظريته والتي قادت تفكيره إلى ما تبعها من أفكار هي فكرة الفطرة اللغوية في ذهن الإنسان، متّخذا إياها من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات؛ فالإنسان غير السوي -فضلا عن ذلك القادر- يستطيع إنتاج الجمل والتعبير عما في نفسه في حين أن أذكى الحيوانات وأكثرها تدربا لا يستطيع ذلك³²».

فيفهم من هذا القول أن تشومسكي توصل في تفريقه بين الإنسان، والحيوان من ناحية اللغة إلى فكرة تسمى (الفطرة اللغوية) في ذهن الإنسان يميز بها بين الإنسان والحيوان، فالإنسان غير سوي فضلا عن الذكي القادر يستطيع إنتاج جمل والتعبير عما في نفسه، في حين أن أكثر الحيوانات لا تستطيع ذلك مما جعل تشومسكي يزداد تمسك بهذه

الفكرة في نظريته، وقد استدل على هذا بأن الطفل يمتلك قدرات فطرية تساعد على تقبل المعلومات اللغوية، وعلى تكوين بنى اللغة خلالها، وهذا يعني أنه مهيناً بطريقة أو بأخرى، لأن يُكوّن قواعد لغته الأم من خلال الكلام الذي يسمعه، وأن يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد التي تكمن ضمن المعطيات التي يتعرض له³³، فإن النمو اللغوي عند الطفل في نظر تشومسكي يعني ما يأتي:

- أن أي طفل يولد يكون مزود بجهاز فطري عقلي يمكنه استنباط قواعد لغته الخاصة به من استعمال المحيط الآتي للغة.

- أن عملية الاكتساب اللغوي لا تستند إلى الذكاء أساس لها، إذ يستطيع أشد الناس غباء أن يعبر عما يريد، بغض النظر عن سطحية المعنى أو عمقه في حين لا نجد ذلك عنده بهيمة عالية الذكاء³⁴.

فالفطرة اللغوية في اللسانيات التوليدية التحويلية تمثل الحجر الأساس يعتمد عليه المبنى النظري كلية، وقد قادت تشومسكي إلى فرضية أخرى تتعلق بها، وهي أن هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية (القواعد الكلية) التي تقوم بضبط الجمل المنتجة تنظيمها بقواعد، وقوانين لغوية عامة تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم يختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، التي هي كلية شمولية عالمية، متساوية عند بني البشر تكون في الإنسان منذ ولادته، ثم يقوم بملئها بالتعبير اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه، فتتضح وتقوى بالتدريج، وكلما اكتسب الإنسان ما يملئ به هذه الكليات الفطرية، ازداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه في جزئية منها، وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها في لغته، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبنائها³⁵.

2.3. القدرة الإبداعية في اللغة:

أشير إلى مفهوم القدرة الإبداعية في اللغة في أثناء الحديث عن النظرية التوليدية التحويلية وقواعدها لأهميتها، وقد عرف ليونز هذه القدرة فقال: «الإبداع أو القدرة الإبداعية»؛ أي قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة ونعني بها الطاقة أو القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير بل غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها قط، ولم ينطق بها أحد من قبل³⁶، ويقول تشومسكي: «لقد حاولت أن أحي بأن دراسة اللغة يمكن أن تقدم — كما أفترض — تقليدا منظورا متميزا لدراسة العمليات العقلية

البشرية، فالجانب الإبداعي في استعمال اللغة عندما يدرس بعناية واحترام للحقائق يظهر أن الأفكار الحالية عن العادة والتعميم كعاملين محددين للسلوك أو المعرفة غير وافية أبداً، وتعزّز تجريدية البنية اللغوية هذا الاستنتاج، كما تضيق أن العقل في كل من الإدراك والتعليم يقوم بدور فعال في تحديد ماهية المعرفة المكتسبة³⁷ «يفهم من التعريفين أن الجانب الإبداعي له مميزات وله إجراء عملي لإتمام النظرية اللغوية، وتحدد نظرية تشومسكي هذه المميزات في :

1. استعمال اللغة الطبيعي تجديدي، فالسلوك اللغوي للإنسان له ميزة الابتكار والتجديد، فأغلب ما يستعمله الإنسان في لغته تعابير متجددة، وليس ترددا عما سبق سماعه .

2. إن استعمال اللغة العادي ليس -فقط- تجديديا وغير متناه، بل هو متحرر من كل المثبرات الخارجية والداخلية، بمعنى أن استعمال اللغة لا يخضع لأي حافز ملحوظ.

3. يثبت الاستعمال اللغوي تماسك اللغة وملاءمتها لظروف التكلم، وهذا التماسك مظهر أساسي من مظاهر اللغة الإنسانية الإبداعية.

4. إن القدرة الإبداعية في اللغة ظاهرة عادية يتميز بها الإنسان بصورة طبيعية ولا ينبغي حصرها فقط في الأعمال الخلاقة في مجال الإبداع اللغوي أو الأدبي³⁸.

3.3 تطبيقات الكفاية اللغوية وكيفية تحقيقها:

يقول ريتشاردز وروجرز: «إن هايمز وهاليداي وغيرهم توسعوا في الكفاية اللغوية التي نادى به تشومسكي والمقصورة على معرفة قواعد اللغة، فهي كفاية نحوية فقط في نظرهم، إلى الكفاية التواصلية، التي تعني المعرفة بأصول الكلام، ومراعاة طبيعة المخاطبين، مع القدرة على تنوع الكلام حسب مقتضى الحال، من طلب واعتذار وشكر ودعوة ونحو ذلك، بالإضافة إلى المعرفة بقواعد اللغة ومفرداتها، هذه الكفاية تعني المعرفة بقواعد اللغة وقوانينها الصرفية والنحوية، مع القدرة على استعمالها بطريقة صحيحة لغويا»³⁹.

ومن بين النماذج التي عرضها تشومسكي لهذه الكفاية المعرفة بالقواعد النحوية المحدودة «وهو يقوم على مبدأ أن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات... تبدأ من اليسار إلى اليمين وإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجمل»⁴⁰، ومثل جملة هذا الفتى اشترى بعض الكتب،

فلو اخترنا كلمة (هؤلاء) بدل (هذا) كان يجب إتباع هذه الكلمة بصيغة الجمع (الفتيان)، وكذا تتبع (الفتيان) بـ (اشترُوا) وهكذا عملية قواعد بناء الجملة وتوليدها.

أما الكفاية التي تتحقق بمعرفة القواعد الصرفية والصوتية يقصد بها القواعد التي تحول المورفيمات إلى سلسلة من الفونيمات، بمعنى إعادة كتابة العناصر كما تنطق، وتطبق لقواعد المورفيمية بعد تطبيق القاعدة التحويلية مثل:

(أ) فعل + حركة ← فعل

كتب + فتح ← كتب

(ب) فعل + ملحقات ← فعل (في شكله الأخير)

كتب + وا ← كتبوا⁴¹

والكفاية التواصلية إنما مفهوم عام تندرج تحتها كفايات أخرى، وهناك من الباحثين اللغويين من عرض أنواع أخرى للكفايات اللغوية، (اللسانية، الثقافية، الاجتماعية... إلخ) فالكفاية اللغوية على هذا تكون عملية إدراك عقلي، واستنطاق قواعد اللغة، فلا يكون فيها انحراف عن القواعد، ولا سهو، بل هو امتلاك ناصية القدرة اللغوية الصحيحة، على النقيض من الأداء الكلامي الذي قد لا يكون انعكاسا مباشرا للكفاية اللغوية، فقد يصيب الأداء الكلامي انحراف عن القواعد نتيجة غلط، أو سهو أو إصابة معينة، ويمكن أن نسمي الكفاية اللغوية بـ (السليقة)، فالسليقة على هذا معرفة المتكلم المستمع بلغته، والأداء الكلامي هو استخدام اللغة، واستعمالها المتكلم، والمستمع في مواقف معينة⁴².

خاتمة:

لم تكن النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها "تشومسكي" مصادفة أو انقداحا عبثيا لرؤى التفكير البشري إنما هي- حسب رأينا- تفكير طويل، وعريض منطقي في أسرار اللغة البشرية التي تنهض على العصب العقلي والعصب النفسي الرياضي والمنطقي، وكثير من النواقل التي تنقل هذه التصورات اللغوية إلى خانة الاستثمار البشري، تماما كما أن الدراسة التحويلية للغة لسانيا هي جهاز منطقي ورياضي وعلمي وفيزيائي تشرح اللغة بمرابض التحليل الدقيق، فهي نظرية استقلت برؤياها المستقبلية حول أطر اللغة التي لا يمكن أن يخرج عليها قدر الإنسان، فاحتملت رياضيات طرائق توليد المواد الخام من اللغة في نواحيها الصوتية أولا، ثم الصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية والتداولية، ومن الزاوية التي تتلقى بوصفها حافزا يستحث الإنسان على التواصل والتداول والتفاعل في الحياة

بشكل فعال وإيجابي، وأهم جانب تنماز به النظرية هو الاستقلال الذي يتمتع به منهج علم اللغة عن بقية المناهج الأخرى، وهو أول مظهر من مظاهر علمية اللغة. كما أن اللسانيات التوليدية التحويلية قدمت التحاليل المتناسكة والملاحظات المثيرة للاهتمام حول المعرفة اللغوية الفطرية والمكتسبة، وركزت على أن الإنسان مهياً بصورة فطرية لكي يتعلم اللغة، والإبداع الذي يتمثل في القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل اعتماداً على عدد محدود من الأصوات، والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم، وهذا ما يسمى "لانهاية اللغة" لأن اللغة خلّاقة وإبداعية بطبيعتها، كما أن استعمال تشومسكي للكفاية اللغوية دليل على تطور ملحوظ في فكره من مرحلة الإيمان بالمذهب التجريبي إلى مرحلة الالتزام بالمذهب العقلي .

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2002، ص15
- 2 ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983م، ص88.
- 3 عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، ط 1979، بيروت، ص51.
- 4 ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1986، بيروت، لبنان، ص92.
- 5 عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص109.
- 6 خليل عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها -دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر-، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1984، ص47.
- 7 حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوية - دراسة في الفكر اللغوي الحديث -، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص07
- 8Le langage et La pensée.Chomsky.tra Louis jean Calvet .payot .parais .p36.
- 9 المصدر نفسه، ص45.
- 10 ينظر:أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005ص204.
- 11ر.ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر:أحمد العوض، ، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص337.
- 12Seuil .paris.1991.p10. Syntaxique Structures. Naom Chomsky.trbraudeau Michel .le

- 13 ميشال زكريا، ألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 29.
- 14 ينظر: مختارة درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 12، جوان 2014، ص 5-6.
- 15 ينظر : نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد، مديرية مطبعة الجامعية، جامعة الموصل، 1985، ص 30، 31، وينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 217
- 16 مريم عبد القادر العزاني، النظرية التحويلية التوليدية وتطورها، جامعة حضرموت، المؤتمر العلمي الرابع، 24-25 يوليو، 2019، ص 164-165.
- 17 عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 139.
- 18 ترجمت هذه الثنائيات بكيفيات مختلفة في الأدبيات اللغوية العربية الحديثة، فهناك من يستعمل كفاءة/كفاية أهلية مقابل أداء/تحقيق/تنفيذ وغير ذلك، ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية – من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2010، ص 41.
- 19 ميشال زكريا، ألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 07.
- 20 عبد الرحمن بن الناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، 2000، ص 432.
- 21 جهاد يوسف العرجا، إبراهيم رجب بخيت، حسن محمد تايه، الركائز والمبادئ الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 35، ج1، ص 208.
- 22 ينظر: سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، ط1، 1997، ص 79.
- 23 نعوم تشومسكي، اللغة والعقل، تر: إبراهيم مشروح ومصطفى خلال، دار تينمل، ط1، مراكش، 1993، ص 42.
- 24 مريم عبد القادر العزاني، النظرية التحويلية التوليدية وتطورها، ص 165.
- 25 ب.ه. ماثيوز، الموسوعة اللغوية، تر: محي الدين حميدي، المملكة السعودية، جامعة الملك سعود الفيصل، 1999، ص 120
- 26 ينظر: اللسانيات التوليدية، عادل فاخوري، دار الطليعة، ط 2، بيروت، 1988، ص 54-55.
- 27 ميشال زكريا، ألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 16.
- 28 ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة العربية، المؤسسة الجامعية بيروت، ط2، 1985، ص 118
- 29 ينظر : التفكير واللغة، جوديث جرين، ترجمة: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص 177

- 30 ينظر : عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 78.
- 31 مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 19
- 32 خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها -دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر-، ص 55.
- 33 ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 262.
- 34 المصدر نفسه، ص 266.
- 35 خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، دار المعرفة، السعودية، ط1، 1984، ص 56.
- 36 جون ليونز، تشومسكي اللغوية، ترجمة : د. حلي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1985، ص 57.
- 37 المصدر نفسه، ص 236-237.
- 38 جهاد يوسف العرجا، إبراهيم رجب بخيت، حسن محمد تايه، الركائز والمبادئ الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية، ص 197.
- 39 عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 110.
- 40 المدارس اللسانية المعاصرة. نعمان بوقرة. مكتبة الأدب. الجزائر. عنابة. دط. د ث. ص: 148
- 41 ينظر: المصدر نفسه، ص: 148-149.
- 42 ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 276.